حَلمتُ البارحة!...

حلمتُ البارحة بقائد فذ يبتغي بناء الوطن على أسس من المحبة والتضامن والاخاء، لدى أبناء وآباء وأمهات تجمعهم كلهم راية واحدة ومفهوم واحد من الأمة اللبنانية المبدئية والنهائية على السواء..

حلمتُ برجل ليس كالرجال، نبتَ من قلب الشعب، كما تنبت الدوحة الوارفة من قلب الجبل الأشمّ، ليعيش قرب اخوانه الكادحين، ويتحسّس ما يعانون من ضيق وشقاء وحرمان، فيتألم لآلامهم، ويحزنه ما يراه من خضوعهم لذوي المال والاقطاع والفاسدين، وتمسي كل امانيه في الحياة، أن يتمكّن من إنصافهم وإيصالهم إلى حق إنساني في الوجود.

رأيته تثور في أعماق روحه الحمية اللبنانية الأصيلة والعزم علي الاقتصاص من كل نافذ مستسلم لشهوات ومهمل لأقدس واجباته ومستخف بكرامة أمته وحقوق شعبه ولو بدا على عكس ذلك بسحر ساحر!..

شاهدته يقوم بثورة بيضاء خضراء زهراء وحوله أناس أحرار من الاباة الخلّص التواقين إلى اعتاق اخوانهم من ربقة الجور والاستغلال.

استشففت نشاطه الدائب يتّسع نطاق عمله خلف ستار ضيق من الكتمان، وأخذت انطلاقته تنتظم في حلقات سرية تهدف إلى استئصال أسباب الشرور المختلفة وتنقذ الشعب الأعزل، من حكم المسيطرين وأذناب الاستعمار البغيض المتجدّد.

أثبت القائد البطل للعالم القريب والبعيد ان إرادة الشعب من إرادة الله، وان الكرامة الوطنية فوق كل قوة وغطرسة وسلطان... مدّ القائد البنّاء يده إلى الشرفاء العقلاء وأثبت ان للسلام نصراء أوفياء وان في العالم دولاً كبيرة تناهض الظلم وتؤازر الثائرين عليه، والراغبين في العيش الوادع الكريم.

هكذا، حفظ العالم والتاريخ وبارئ الأكوان فضل القائد الفذ وأصبح رمز البطولة والكفاح. تألّق نجمه وامتدّ شعاعه في آفاق التاريخ وغدا اسمه أنشودة الفخار والاكبار، في كل ربع من ربوع الوطن وفي كل مغترب يقيم فيه اخواننا المهاجرون.

هل من أفق للبنان في هدي حلم كهذا، أم اننا سنظلّ نحلم؟ الوطن تصنعه الرؤية بعد رؤيا. وما من رؤية إلا رؤية الإنسان الجميل، البهيّة روحه. بهذا ينشأ لبنان فعلاً!..

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه